

تفسير البغوي

2 - { فسيحوا في الأرض } رجع من الخبر إلى الخطاب أي : قل لهم : سيحرعوا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين { أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي إِنَّمَا} أي : غير فائتين ولا سابقين { وَأَنَّ إِنَّمَا} مخزي الكافرين } أي : مذلهم بالقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة .

واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برأه رسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله : .

فقال جماعة : هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر : رفعه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر : حطه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود : حده بأربعة أشهر ثم هو حرب بعد ذلك الله ورسوله فيقتل حيث أدرك و يؤسر إلا أن يتوب .

وابداء هذا الأجل : يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر .

فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ لِهِ عَهْدٌ فَإِنَّمَا أَجْلَهُ اِنْسَلاخُ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ وَذَلِكَ خَمْسُونَ يَوْمًا وَقَالَ .

الزهري : الأشهر الأربع شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون .

وقال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر فأتم له أربعة أشهر فأما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده بقوله تعالى : { فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتكم } قال الحسن : أمر $\text{ا}\text{هـ}$ رسوله A بقتال من قاتله من المشركين فقال : { قاتلوا في سبيل $\text{ا}\text{هـ}$ الذين يقاتلونكم } فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد فكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الأجل .

وقيل : نزلت هذه قبل تبوك .

قال محمد بن إسحاق و مجاهد وغيرهما : نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله عاهد قريشا عام الحديبية على : أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله عاهم قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعادتهم قريش ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعادتهم قريش بالسلاح فلما تطاير بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله وقال : .

- (لا هم إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا) .
- (فا نصر هداك A نصرا ... وادع عباد A يأتوا مدادا) .
- (أبيض مثل الشمس يسمو صعدا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا) .
- (هم بيتوна بالهجير هجا ... وقتلونا ركعا وسجدا) .
- (كنت لنا أبا وكنا ولدا ... ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا) .
- (فيهم رسول A قد تجردا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا) .
- (إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا) .
- (وزعموا أن لست تنجي أحدا ... وهم أذل وأفل عددا) .

فقال رسول A : [لا نصرت إن لم أنصركم] وتجهز إلى مكة سنة ثمان من الهجرة .

فلما كان سنة تسع أراد رسول A أن يحج ثم قال : إنه يحضر المشركون فيبطوفون عراة فيبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه بأربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا كرم A وجهه على ناقته العصباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة : أن قد برئت ذمة A وذمة رسوله A من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

فرجع أبو بكر فقال : يا رسول A بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء ؟ قال : لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضي يا أبو بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض ؟ قال : بلى يا رسول A .

فسار أبو بكر B أميرا على الحج وعلى B ليؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التوبة بيوم خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم A وجهه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم سورة براءة .

وقال زيد بن يثيع سألنا علي بأي شيء بعثت في تلك الحجة ؟ قال : بعثت بأربع : لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي A عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ثم حج النبي A سنة عشر حجة الوداع .

فإن قال قائل : كيف بعث رسول A أبو بكر B ثم عزله وبعث عليا B ؟ .

قلنا : ذكر العلماء أن رسول A لم يعزل أبو بكر B وكان هو الأمير وإنما بعث عليا Bلينادي بهذه الآيات وكان السبب فيه : أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها لأن لا يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه فيبعث عليا B إزاحة للعلة لئلا يقولوا : هذا خلاف ما نعرفه فيما في نقض العهد .

والدليل على أن أبا بكر ب كان هو الأمير : ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا
أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إسحاق حدثنا
يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا
هريرة قال : بعثني أبو بكر ب في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر يؤذن بيمنى : ألا لا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقال حميد بن عبد الرحمن : ثم أردف رسول الله ص
عليها فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل في يوم النحر : ألا لا
يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان